## مسَاوئ من استدعى الهجَاء ومَن هجا نفسه

قال أبو العتاهية: خرجتُ مع المهدىّ إلى الصيد، فتفرّق أصحابُه وبقيتُ معه، وقد أقبل علينا المطر، فانتهينا إلى ملّاحٍ معه زَوْرق، فقال لنا: ادخُلا من هذا المَطَر، فدخلنا، ووقعت الرِّعدة على المهدى من شدّة البرد، فقال له الملّاح: هل لك أن أُلقِىَ عليك جُبّتى؟ فقال: نعم. فألقاها عليه، فمازال يتقَرقَفُ حتى نام، ثم أقبل الخَدَم والغلمانُ وألقوْا عليه الخَزّ والوَشْى، فلمّا انتبه أمرَ بدفع ذلك إلى الملّاحِ وقال: يا أبا العتاهية، ألا هجوتَنى! فقلتُ: يا أمير المؤمنين، وكيف تَطيب نفسى بهجائك! قال: فإنّى أسألك بالله، فقلت:

يـالابسَ الوَشْى عـلى شيْبِهِ ... ما أقبحَ الأشيَبَ فى الدَّاحِ![1]

[السريع]

فنقر نقْرةً ثم قال: زدنى، فقلت:

لو شئتَ أيضًا جُلْتَ فى خامَةٍ ... وفى وشـاحَـيْنِ وأوضـاح

[السريع]

فقال: ويلك! زدنى، فقلتُ:

كَمْ منْ عظيمِ الشَّانِ فى نفسِه ... قـد بـاتَ فى جُبّـةِ مَـلّاحِ

[السريع]

قيل: وشرب يزيدُ بن معاوية ذاتَ يوم وعنده الأخطل، فلما ثَمِلَ قال: يا أخطل، اهجُنى ولا تُفحِش، فأنشأ يقول:

ألَا اسْلَمْ سَلِمْتَ أبـا خـالـدٍ ... وَحَـيَّـاكَ ربُّـك بـالعَـنْـقَـزِ[2]
وروَّى عـظامَـكَ بـالخَنْـدَريسِ ... قـبـل الممـاتِ ولم تـعْجـزَ[3]
أكلتَ الـدَّجـاجَ فـأفنـيتَـهـا ... فهلْ فى الخَنانِيص من مَغْمَزِ[4]
ودينـكَ حقًّـا كـديـن الحـما ... ر بـل أنْتَ أكفر من هُـرْمُـز

[المتقارب]

---

(١) الداح: نقش يلوح به للصبيان يلعبون به.

(٢) الأبيات فى الصحاح ٢: ٨٨٥ ونسبها إلى الأخطل؛ وليست فى ديوانه. وفى الصحاح: العنقز: المرزنوش وقضيب الحمار».

(٣) فى الصحاح: «فلا تعجز».

(٤) الخنانيص: جمع خنوص؛ وهو الحمار.

فرفع يده ولطمه وقال: يا بن اللّخناء! ما بكلّ هذا أمرتُك[١]!

* * *

قال: ودخل أبو دلامةَ على المنصور وعنده المهدىّ وعيسى بن موسى، فقال له المنصور: أُهجُ بعضَ من فى المجلس، فقال فى نفسه: مَنْ أهجو! الخليفة؛ أم ابن أخيه! ما أحد أحقّ بالهجاء منّى! فقال:

ألا أبلغْ لـدَيْك أبـا دُلامَـهْ ... فلستَ من الكرام ولا كرامَهْ
جمعتَ ه دَمـامةً وجمعتَ لؤمًـا ... كَـذاكَ اللؤمُ تتبعُهُ الـدّمامَـهْ
إذا لبسَ العِمامَةَ قلتَ قِرْدٌ ... وخِنـزيرٌ إذا وضـعَ العِمامَـه

[الوافر]

فضحك المنصور وأمر له بجائزة.

قيل: وأتى أعرابىٌّ عبد الله بنَ طاهر فقال: أيّها الأمير، اسمع مَديحى! فقال: لستُ أنحاشُ[٢] له، قال: فاسمع شِعرى فى نفسى، فقال: هاتِ، فقال:

ليسَ مِنْ بخلكَ أنّى ... لم أجدْ عندكَ رزْقا
ذَا لجـدّى ولشؤمى ... ولحُرْ فى المُبقّى[٣]
فجـزاكَ الله خيـرًا ... ثم بُعْدًا لى وسُحْقا!

[مجزوء الرمل]

فضحك ثم قال: تلطّفتَ فى الطلب؛ وأمر له بألف دينار.

---

(١) انظر ملحق ديوان الأخطل ٣٨٨.

(٢) يقال: فلان ما ينحاش من فلان، أى ما يكترث له، وفى الأصول: «انحاش».

(٣) الحرف: الحرمان.

# محَاسِن الرّجَال

مدح أعرابيٌّ رجُلًا فقال: فتى آتاه الله الخير ناشئًا فأحسن لبسَه، وزيّنَ نفسَه.

ومدح أعرابيّ رجلًا فقال: كان والله للأخِلّاء وَصولًا، وللمال بَذُولا، وكان الوفاء بهما عليه كفيلا، فمَنْ فاضَله كان مفضولا.

ومدح أعرابيّ رجلًا فقال: هو أكسبُهُم للمعدوم، وآكَلُهم للمأدوم، وأعطاهم للمحروم[1].

ومدح أعرابيّ رجلًا فقال: مازلتُ لأحسن ما يُرجَى من الإخوان منك راجيًا، ومازلتَ لأكثر ما أرجو منك مصدّقا.

ومدح أعرابيٌّ رجلًا فقال: كان واللّهِ تَعِبًا فى طلب المكارم، وغيرَ ضالّ فى مصالح طرُقها، ولا متشاغل عنها بغيرها.

ومدح أعرابيٌّ رجلًا فقال: لسانه أحْلَى من الشَّهد، وقلبُه سجنٌ للحِقْد.

ومدح أعرابيٌّ رجلًا فقال: ذاك صحيحُ النَّسب، مستحكم الأدب، من أىِّ أقطاره أتيتَه قابَلك بكرم فعَال، وحسن مقال.

ومدح أعرابيٌّ رجلًا فقال: إذا أُنبتت الأصولُ فى القلوب، نطقت الألْسُن بالفروع، والله يعلم أنّى لك شاكر، ولسانى بثنائك ذَاكر، وما يظهر الودُّ السليمُ، إلّا من القلب المستقيم.

ومدح أعرابيٌّ رجلًا فقال: كان إذا نزلتْ به النوائب قام إليها ثم قام بها، ولم تُقعِدْه عِلّات النفوس عنها.

ومدح أعرابيٌّ رجلًا وفرسه؛ فقال: كان والله طويلَ العِذار، أمين العِثار، إذا رأيتَ صاحبَه عليه حسبته بازيًا على مَرقَب[2]، معه رمح يقبض به الآجال.

ومدح أعرابيٌّ رجلًا فقال: لا تراه الدهرَ إلّا كأنه لا غنى به عنك، وإن كنتَ إليه أحوج، وإذا أذنبتَ غَفَر. وكأنه المُذنب، وإن احتجتَ[3] إليه أحسنَ وكأنّه المسىء.

قال: وقال أعرابىّ لرجل: أما والله لقد كنتَ لجامًا لأعدائك ما تُفلّ شكيمتاه، إذا كبح به الجموحُ أقْعى على رجليه.

---

(١) ساقطة من ك.

(٢) المرقب: المكان العالى المشرف.

(٣) ك: «لم يحفضه».

قال: ولقِيَ أعرابيٌّ أعرابيًّا فقال: كيف وجدتَ فلانًا؟ قال: وجدتُه والله رزين الحِلْم، واسع العِلْم، خصيب الجَفْنة، إن فاخَرْتَهُ لم يكذِب وإن ما زحتَه لم يُحفَظ.

ومدح أعرابيٌّ رجلًا فقال: كان يَفتح من الرأى أبوابًا[1] منسدّةً، ويغسل من العار وجوهًا مسودّةً.

ومدح أعرابيٌّ قومًا فقال: أولئك غيوثُ جَدْب، وليوثُ حَرْب، إن قاتَلوا أبلَوْا وإن أعْطَوْا أغْنَوْا.

ومدح أعرابيٌّ رجلًا فقال: ذاك من شجر لا يجفّ ثمرُه، وماء لا يخاف كَدَرُه.

---

(١) كذا فى ك وفى ك «عيونًا».

# مساوئ الرّجال

ذمّ أعرابيٌّ رجلًا فقال: يا نطفة الحمار، ونزيَع الظئورة، وشبيهَ الأخوال.

وذمّ قومًا، فقال: إن آل فلان قوم غَدْر، شرّابون للخمر، ثم هذا فى نفسه نطفة خَمّار فى رحمٍ صَنّاجة[1].

وذمّ أعرابيٌّ رجلًا فقال: يقطع نهاره بالمُنَى، وستوسّد ذراع الهمّ إذا أمْسَى.

وذمّ أعرابى رجلًا فقال: ما قَنَع كميًّا سيفًا[2]، ولاقَرَى يومًا ضيفًا، ولاحَمِدْنا له شناءً ولاصيفًا.

وقال أعرابىّ لامرأته: أقام الله ناعيك، وأشمت أعاديك[3].

وذمّ أعرابىٌّ رجلًا فقال: عليه كلّ يوم قَسامةٌ[4] من فعله، تشهد عليه بفسقه؛ وشهاداتُ الأفعال أعدَلُ من شهادات الرجال.

وذمّ أعرابىٌّ رجلًا فقال: تسهر زوجته جوعًا إذا نام شِبَعًا، ولا يخاف عاجلَ عار، ولا آجل نارٍ، كالبهيمة أكلتْ ما جَمعتْ، ونكحت ما وجدت.

وذمّ أعرابىّ رجلًا فقال: ذاك أعيا ما يكون عند الناس، أبلغ ما يَكون عند نفسه.

وذمّ[5] أعرابىّ رجلًا: تقطع أخاك لأبيك وأمّك! فقال: إنّى لأقطع الفاسدَ من جسدى؛ وهو أقرب إلىّ من أخى، وأعزّ فقدًا منه!

وذمّ أعرابىٌّ قومًا فقال: يا قومِ لا تسكنوا[6] إلى حَلاوة ما يجرى من القول على ألْسَنةِ بنى فلان، وأنتم تَرَوْنَ الدّماء[7] تسيلُ من أفعالهم، وقد جعلوا المعاذيرَ ستورًا، والعِلَلَ حُجُبًا.

وذمّ أعرابىّ رجلًا فقال: إذا سأل ألْحَف، وإذا سُئِل سوَّف، يحسد أن يفضَّل؛ ويزهد أن يُفَضَّل.

وذمّ أعرابىّ رجلًا فقال: يكاد أن يُعْدِيَ بلؤمِه مَن تسمَّى باسمه.

وذمّ أعرابىّ رجلًا فقال: تعدو إليه مواكبُ الضلالة، وترجع من عنده بهلاك الأنام مُعْدِمٌ مما يحبّ، مُثْرٍ مما يكره.

---

(١) الصناجة: المرأة صاحبة الصنج، والصنج: صفيحة مدورة يضرب بها على أخرى مثلها للطرب.

(٢) الكمى: الشجاع أو لابس السلاح؛ سمى بذلك لأنه كمى نفسه، أى سترها، وقندع رأسه بالسيف والسوط والعصا: غشاه به.

(٣) ل: «عاديك».

(٤) القسامة، بالفتح: الجماعة يقسمون، أى يحلفون على الشىء.

(٥) ل: «ولام».

(٦) ك: «لا تسكنوا».

(٧) ك: «الدنيا».

وقال أعرابىّ لرجل: والله ما جِفانُكُمْ بعِظام، ولا أجسامكم بوسام، ولا بدت لكم نار، ولا طلبتم بثار.

ورأى أعرابى رجلاً ظلومًا يَدْعُو، فقال: يا هَذا، إنما يُسْتَحاب لمظلوم أو مؤمن، ولستَ أحدًا منهما؛ أراك تخفّ عليك الذّنوب، وتحسنُ عندكَ مقَابح العيوب.

وذمّ أعرابىّ رجلاً فقال: فلان لا يستحِى من الشرّ، ولا يحبّ أنه أحبّ الخير، ولا يكون فى موضعٍ إلّا حُرمت فيه الصلاة، ولو قذِف لُؤمه على الليل طمِست نجومه، ولو أفلتتْ[1] كلمةُ سوء لم تصل إلّا إليه.

وسأل أعرابىٌّ رجلاً فقال: لقد نزلْتَ بوادٍ غير ممطور، وبرجُل بكَ غير مسرور، فارتحِلْ بندم، أو أقِمْ بعدم.

وذمَّ آخرُ فقال: ما كان عنده فائدة ولا عائدة، ولا رأىٌ جميل، ولا إكرام لدخيل.

وقيل لأعرابىّ: ما بلغ من سوء خُلقك؟ قال: تبدُو لى الحاجة إلى الجار أو الصاحب فى بعضِ الليل، فأصبح غضبان عليه، أقول: كيف لم يعلمها!

وذكر أنه تَنافر رجلان من بنى أسد إلى هَرم بن سنان المرّىّ فى الشرّ وعنده الحطيئة، فقال أحدُهما، إنّى بقيتُ زمانًا وأنا أرى أنّى شرّ الناس وألأمهم، حتى أتانى هذا، فزعم أنه شرٌّ منى! فقال هَرِم: أخبرانى عنكما، فقال أحدهما: لم يمرّ بى أحدٌ[2] قطّ إلّا اغتبته، ولا ائتمننى إلّا خُنتُه، ولا سألنى إلّا منعتُه. وقال الآخر: أما أنا فأبطرُ الناس فى الرخاء، وأجبَنُهُم فى اللّقاء، وأقلّهم حَياء، وأمنعهم حِباء. فقال هَرِم: وأبيكما لقد تردّيتُما فى الشرّ، ولكن أخبركما بمن هو شرٌّ منكما. قالا: ما ولدتْ ذاك النساءُ! قال: بلى، هذا الحطيئةُ هجا أباه وأمَّه ونفسَه ومن أعطاه ومَنْ أحسن إليه، فقال لأبيه:

لحاكَ الله ثمّ لحاكَ حقًّا ... أبًا ولحاكَ من عمٍّ وخالِ[3]
فبئس الشيخُ أنت على النّوادِى ... وبئسَ الشيخُ أنت لدى المعالى
جمعتَ اللؤمَ لا حيّاك ربِّى ... وأبوابَ المخازِى والضلالِ

[الوافر]

وقال لأمه:

تنحَّىْ فاقعُدى منّى بعيدًا ... أراحَ الله منكِ العَالَمِينَا[4]
أغِربالا إذا استُودِعْتِ سرًّا ... وكانونًا على المتحدِّثينا!
ألم أوضِحْ لك البغضاءَ منّى ... ولكن لا أخالُكِ تعلمينا!

[الوافر]

---

(١) ك: «أقبلت».
(٢) ك: «رجل».
(٣) ديوانه ١١٩.
(٤) الأغانى: ٢: ١٦٣ (طبعة الدار).

وقال لنفسه:

أَبَتْ شفتاىَ اليومَ إلَّا تكلُّمًا بشرٍّ؛ فما أدرى لِمَنْ أنا قائلُهْ[١]
أرى لىَ وجهًا شوّه الله خَلقَهُ فقُبِّحَ من وجهٍ وقُبِّح حاملُه!

[الطويل]

وقال لمن أعطاه:

سئِلتَ فلم تبخلْ ولم تُعطِ نائلًا فسيّانِ لاذم عليكَ ولا حمدُ[٢]

[الطويل]

قيل: ولمّا حضرت الخطيئةُ الوفاةُ، قيل له: أوصِ، فقال:

الشِّعْرُ صَعْبٌ وطويلٌ سُلَّمُهْ إذا ارتقَى فيهِ الّذى لا يَعْلَمُهْ[٣]
زلّتْ به إلى الحضيضِ قدمُهْ والشّعرُ لا يسطِيعُهُ من يَظْلِمُهْ
* يريد أن يُعرِبَهُ فيعجمُهْ *[٤]

[الرجز]

فقيل له: أوص للمساكين بشىء، فقال: أوصيهم بالمسألة ما عاشوا؛ فإنها تجارة لن تبور. قيل: أوصِ فقد حضرك أمرُك، فقال: مالى للذّكور من ولدى، دون الإناث؛ قيل له: إنّ الله عزّ وجلّ لم يأمر بهذا، قال: لكنّى آمُرُ به، فقيل له: اعتق غلامك يسارًا الأسود. قال: هو مملوك مادام على ظهر الأرض عَبْسىٌّ[٥]؛ قيل له: مَنْ أشعر الناس؟ فقال: هذا المِحجَن ما أُطْمِع فى خير - وأومأ إلى لسانه - ثم جعل يبكى، فقيل له: ما يبكيك؟ أجزَعًا من الموت يا أبا مُلَيْكة! قال: لا؛ ولكن ويلٌ للشِّعر من راوية السوء. ثم قال: أبلِغوا الشمّاخ أنّه أشعرُ غطَفان[٦] على وجه الأرض، وإن متّ فاحملونى على حمار، فإنه لم يمتْ عليه كريمٌ قطّ.

وفى غير هذه الرواية أنه قال: احملونى على حمار، فإنّه لم يمتْ عليه كريم قطّ؛ لعلّى أن أنجو؛ ثم أنشأ يقول:

---

(١) ديوانه ١٢٠، والأغانى ٢: ١٦٣.
(٢) ديوانه ٩١، وفى ط: «سألت»: وهو أيضًا فى الأغانى ٢: ١٦٨.
(٣) ديوانه ١١، والأغانى ٣: ١٩٦.
(٤) الفاء هنا للاستئناف، أى فإذا هو يعجمه.
(٥) والخطيئة من بنى عبس.
(٦) فى الأغانى: لما حضرت الخطيئة الوفاة اجتمع إليه قومه فقالوا: يا أبا مليكة، أوص، فقال: ويل للشعر من رواية السوء؛ قالوا: أوص رحمك الله يا حطىء! قال: من الذى يقول:

إذَا أَنْبَضَ الرَّامُون عنها تَرُنَّمَتْ ترنُّمَ ثكلَى أوجَعَتْهـا الجنـائـزُ

قالوا: الشماخ، قال: أبلغوا غطفان أنه أشعر العرب».

لكلّ جَديـدٍ لذّةٌ غـيرَ أنّنِي رأيتُ جديد الموتِ غيرَ لذيذِ[١]
له نكهةٌ ليستْ بطعم سفرجلٍ ولا طَعْمِ تفّـاحٍ ولا نبيـذِ[٢]

[الطويل]

ثم خرجتْ روحُه، فلمّا مات قال فيه الشاعر:

لا شاعرٌ ألأمُ من حُـطَيْهْ هجا بنيه وهَجَا المُرَيّـهْ[٣]
* من لؤمِه ماتَ على فُرَيَّهْ *[٤]

[الرجز]

* * *

قال: وقيل لمعاوية بن أبي سفيان: مَنْ رأيت شرّ الناس؟ فقال: علقمة بن وائل الحضرميّ، قَدِم على رسول الله ﷺ، فأمرني أن أنطلق به إلى رجل من الأنصار أنزله عليه، فانطلقتُ معه وهو على ناقته، وأنا أمشي في ساعة حارّة، وليس عليَّ حذاء، فقلتُ: احملني يا عمّ من هذا الحرّ؛ فإنه ليس عليّ حذاء، فقال: لستَ من أرداف الملوك، قلت: أنا ابنُ أبي سفيان، قال: قد سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول ذلك، قال: فقلت: ألقِ إليَّ نعلَيْك، قال: لا تقلّهما قدَماك، ولكن امشِ في ظلّ ناقتي، وكفى لك بذلك شرفًا؛ وإن الظلّ لك لكثير؛ فما مرّ بي مثل ذلك اليوم، ثم أدرك سلطاني فلم أؤاخذه بذلك، بل أجلستُه على سريري هذا، وقضيتُ حوائجه.

* * *

ومنهم دُوَيْد بن زيد بن نهد[٥]، وكان من المعمَّرين، قال: يا بَنِيّ أوصيكم بالنَّاس شرًّا، لا تبتغُوا لهم خيرًا، كلّموهم نَزْرًا، واحظوهم شَزْرًا، ولا تقبَلوا لهم عُذْرًا، ولا تُقيلوهم عَثْرة، ثم أنشأ يقول:

يـا رُبّ نهبٍ صالِـحٍ حَوَيْتُـهُ ورُبّ غَيْـلٍ حَسَنٍ لـويتُـهُ[٦]
لـو كـان للدّهـر بِلىً أبليتُـهُ أو كان قِرنى واحِـدًا كَفيتُهُ[٧]
* اليومَ يُبنى لدويدٍ بيتُهُ *

[الرجز]

---

(١) ديوانه ١٢٠، والبيت الأول الأغانى فى ٢: ١٩٦ ونسبه إلى ضابئ البرجمى.

(٢) رواية البيت فى الديوان:

لَهُ خَبْطَةٌ فى الخَلقِ ليس بِسُكّرٍ ولا طعم راحٍ يشتهى ونبيـذِ

(٣) ديوانه ١٢٠، والأغانى ١: ١٩٧.

(٤) فى الأغانى: «الفرية: الأتانة» والخبر هناك فى ٢: ١٩٥ - ١٩٧، مع اختلاف فى الرواية.

(٥) ورد الاسم محرفا فى الأصول؛ والصواب ما أثبته من أمالى المرتضى ١: ٢٣٦، وطبقات الشعراء لابن سلام ٢٧، ٢٨، وفيها الأبيات مع اختلاف الرواية.

(٦) الغيل: الساعد الريان الممتلئ.

(٧) القرن: الذى يلقاك ليقاومك.

# محاسن ذكر التنعّم

يُضرَب المثل بخُريم النّاعم، وهو خريم بنُ عمرو، من بنى مُرّة بن عَوْف، قيل له: الناعم»؛ لأنه كان يَلبَس الخَلَق فى الصَّيْف، والجديدَ فى الشتاء. وسأله الحجّاج: ما النِّعمة؟ قال: الأمنُ، فإنّى رأيت الخائف لا ينتفع بنفسه ولا بعيشه: قال: زدنى. قال: الغِنَى، فإنّى رأيتُ الفقيرَ لا ينتفع بعيش؛ قال: زدنى، قال: الصحّة، فإنى رأيت السقيمَ لا ينتفع بعيش؛ قال: زدنى، قال: الشباب فإنّى رأيت الشيخ لا ينتفع بعيش؛ قال: زدنى؛ قال: لا أجد مزيدًا.

* * *

قال: وقال زيادٌ لجلسائه: مَنْ أنعم الناس عيشًا؟ قالوا: أميرُ المؤمنين، قال: هيهات! فأينَ ما يلقَى من الرعيّة؟ قالوا: فأنت أيّها الأمير، قال: فأين ما يرد علىّ من الثغور والخراج! بل أنعم الناس عيشًا شابٌّ له سِدادٌ من عيش، وحَظٌّ من دين، وامرأة حَسْناء رَضِيَها ورضيَتْه، لا يعرفنا ولا نعرفه.

* * *

قال: وقال عمرو بن العاص لمعاوية: يا أمير المؤمنين، ما بقَى من شبابك وتلذُّذك؟ قال: والله ما بَقِىَ شىء يصيبه النّاس من الدنيا إلّا وقد أصبتُه، أمّا النساء فلا إرْبَ لى فيهنّ ولا لهنّ فىّ، وأمّا الطّيب فقد شمَمْتُه؛ حتى ما أبالى به؛ وأما الثياب فقد لبست من لَيّنها وجيّدها حتى ما أبالى ما ألبَس؛ فما شىء ألذّ عندى من شَربة باردة فى يوم صائف، ونظرى إلى بَنِىَّ وبنى بنىّ يَدْرجون حولى؛ فأنت يا عمرو؛ ما بقى من لذّتك؟ قال: أرض أغرسها فآكل من ثمرها، وأنتفع بغَلّتها؛ ثم التفت معاويةُ إلى وَرْدانَ فقال: يا وُرَيد، ما بقى من لذّتك؟ قال: صنائعُ كريمة أعتقلها فى أعناق الرجال، لا يكافئوننى عليها؛ تكون لأعقابى من بعدى. فقال معاوية: تبًّا لهذا المجلس، يَغلِبنا عليه هذا العبد!

* * *

قال: وقال قُتيبة بن مسلم لوكيع بن أبى سود: ما السرور؟ قال: لواءٌ منشور، وجلوسٌ على السرير، والسلام عليك أيها الأمير!

وقيل لحُضَيْن بن المنذر: ما السرور؟ قال: امرأة حسناء، فى دارٍ قَوْراء، وفرسٌ بالفِناء.

وقيل لرجل من بنى قُشَير: ما السرور؟ قال: الأمن والعافية؛ قيل: صدقت!

وقد قيل: العيش فى سَعة الرزق، وصِحّة الجسم، وإقبال الزمان، وعزّ السلطان، ومعاشرة الإخوان.

وقيل: نعيم المتوسِّطين لونٌ مشبَع، وكأسٌ مُترَع، وصديق مُمْتِع، وغِنًى مُقْنِع.

وقيل: راحة البدن النوم، وراحةُ الدار أن تُسكَن.

وقال بعضهم: ليس سرور النفس بالجِدَةِ، إنما سرورُها بالأمل.

وقيل لبعضهم: أيّ الأمور أمتَع؟ قال: الأمانيّ، وأنشد فى ذلك:

إذا تمنيتُ بتُّ الليـلَ مغتبـطًا ... إنّ المنَى رأسُ أموالِ المَفاليسِ
لولا المُنى مِتُّ من هَمٍّ ومن جَزَعٍ ... إذا تذكّرتُ مافى داخل الكيس[1]
[البسيط]

وقيل لعبد الله بن الأهتَم: ما السرور؟ قال: رفعُ الأولياء، وحطّ الأعداء.

وقال بعضهم: السرور توقيعٌ نافذ، وأمرٌ جائز.

وقال عبد الرحمن بن أبى بكر: السرور إدراك الأمانيّ.

وقال آخر: السرور معانقة الأحبّة، والرجوع إلى الكفاية.

وقال بعضهم: العيش محادثة الإخوان، والانتقال إلى كفاية.

وقيل لطرَفة: ما السرور؟ قال: مَطعَمٌ شهيٌّ، ومركبٌ وطيّ، وملبَس دَفِيّ.

وقيل للأعشى: ما السرور؟ فقال: صهباء صافية، تمزجها غانية، بصَوْبِ غادية.

وقيل لملكٍ: ما السرور؟ فقال: حِمًى ترعاه، وعدوّ تُنعَاه.

وقيل لراهب: ما السرور؟ قال: الأمان من الوجل، إذا انقضت مدة الأجل.

وقيل لبعضهم: ما السرور؟ قال: زوجة وسيمة، ونِعمة جسيمة.

وقيل لمغنّ: ما السرور؟ قال: مجلس يقلّ هذَره، وعُودٌ يصفو وترُه، وعقولٌ تفهَمُ ما أقول.

وقيل لمظلوم: ما السرور؟ قال: كفاية ووطَن، وسلامة وسكَن.

وقيل لورّاق: ما السرور؟ قال: جلود وأوراق، وحبر بَرّاق، وقلم مَشّاق[2].

وقيل لبعضهم: ما السرور؟ قال: بنون أغيظ بهم أعدائى، ولا تُقْرَع معهم صَفَاتى[3].

وقيل لفتاة: ما السرور؟ فقالت: زوجٌ يملأ قلبى جلالاً، وعينى جَمالاً، وفِنائى جِمالا.

وقيل لطفيليّ: ما السرور؟ فقال: ندامى تُسْكن صُدُورهم، وتَغْلى قدورُهم، ولا تُغْلَق دُورهُم.

وقيل لقانص: ما السرور؟ فقال: قوس مأطورة[4]، وشِرْعة مشْزورة[5]، ونبالٌ مطرورة[6].

---

(١) ك: تفكرت

(٢) قلم مشاق: سهل الكتابة سريعها.

(٣) الصفاة فى الأصل: الحجر الصلد، والكلام على الاستعارة.

(٤) قوس مأطورة: معطوفة مقوسة.

(٥) الشرعة: الوتر، شزر الحبل: فتله عن يسار، وهو أشد لفتله.

(٦) مطرورة: محدبة.

وقيل لمحبوس: ما السرور؟ فقال: فِكاكٌ يَفجأ، وإطلاق لا يَرْزَأ.

وقيل للوطيّ: ما السرور؟ فقال: شخْصٌ ناضر[1]، ودرهم حاضر.

وقيل لعاشق: ما السرور؟ فقال: لَقيَةٌ تشفِى من الفُرْقة، واعتناقٌ يداوِى من الحُرقة.

وكان يقال: إنه حُكِى عن الحكماء أنّ لذّة الثوب يوم، ولذّة المركب جمعة، ولذة المرأة شهر، ولذّة الضَّيعة سنة، ولذّة الدار الأبد.

## الشعر فى هذا الفن

أطَيبُ الطيّبات قتلُ الأعادِى ... واختيال على مُتونِ الجيادِ[2]
وأيادٍ تجبو بهنّ كريمًا ... إنّ عند الكريم تزكو الأيادى
ورسولٌ يأتى بوعدِ حبيبٍ ... وحبيبٌ يأتى على ميعادِ
[الخفيف]

وللخليع:

أطيَبُ الطيبات أمرٌ ونهىٌ ... لا يُرَدَّانِ فى الأمور الجسام
وامتطاءُ الخُيولِ فى كنف الأمـ ... ـنِ بغير الإقدام والإحْجام
وسَمَاعُ الصَّهيلِ فى لجَبِ الموْ ... كِبِ تحت اللِّواءِ والأعلامِ
[الخفيف]

الموصلّى:

أطيبُ الطيّبات طيبُ الزَّمانِ ... ونِدامُ المنعَّماتِ الغَوانى
واحتساءُ العُقارِ فى غُرّةِ الصبـ ... ـحِ على شَدْوِ ما هراتِ القِيانِ
وأمانٌ من الهُمومِ ومالٌ ... ليس تُفْنِيهِ نائباتُ الزمانِ
[الخفيف]

---

(١) فى الأصول: «ناظر».

(٢) ل: «واختفال».

# محاسن الفقر

رُوِى فى الحديث أن الفقير الصبورَ يدَخل الجنّة قبل الغنىِّ الشكور بأربعين عامًا.

ورُوِى عن أبى الدَّرداء أنه قال: لأن أموتَ وعلىَّ أربعةُ آلاف دِرْهم أنوِى قضاءَها، أحبُّ إلىَّ من أن أترك مِثلَها حَلالا.

وقال سَلْمان الفارسِىُّ: قد خشيتُ أن أكونَ قد تركتُ عهد رسول الله ﷺ. قيل: ولم ذاك؟ قال: لأنه قال: «مَن أراد أن يدخُلَ الجنّة فلا يكونَنَّ[1] زادُه من الدنيا إلّا كزاد الراكب»، وأنا قد جمعتُ ما تَرون، فقوِّمُوا ما عنده فبلغ ثمانية عشر درهما.

وكان يقال: مَنْ أصبح آمنًا فى سِرْبه، معافًى فى بدنه، عنده قوتُ يومه، فعلَى الدنيا العَفَاء.

ورُوِى عن النبىّ ﷺ أنه كان من دعائه: «اللهمَّ أحْيِنى مسكينًا، وأمِتْنى مسكينًا، واحشُرنى فى زُمرة المساكين؛ اللهمّ اجعل رزق آل محمد كَفَافًا» فسئل بعضهم: ما الكفاف؟ فقال: جُوعُ يومٍ، وشبع يوم.

وروى أنّ عيسى بن مريم عليه السلام كان لا يأوى [إلى] سَقْف بيت، فألجأه المطرُ ذات ليلةٍ إلى غارٍ، فدخله، فإذا سَبُعٌ قد سَبَقه إليه، فكأنّ صدره ضاق، فأوْحى الله عزّ وجلّ إليه: يا عيسى، ضاق صدرُك! فوعِزَّتى لأزَوّجنَّك أربعة آلاف حَوْراء، ولأولمنَّ عليك ألفَ عام!

قال: وكان الفُضيل بنُ عِياض يقول فى دعائه: اللهمَّ أجَعْتَنى وأجعتَ عِيالى، وتركتنا فى ظُلم الليل بلا مصباح، وإنما تفعل هذا بأوليائك، فبأىّ منزلةٍ نلتُ هذا منك ياربّ!

---

(١) كذا فى ك، وفى ل: «الفقراء».

# مساوئ الفقر

قيل: أمر الله عزّ وجلّ موسى عليه السلام فقال: ائْتِ كورَة كذا وكذا. فقال: يارَبّ إنى قتلتُ منهم نفسًا، وأنا[1] خائف. فقال الله جلّ وعزّ: إنّى قد أمَتّ أقرباءه[2]. فصار إليها، فأوّل ما استقبله قَرابةُ للمقتول. فقال: يارَبّ، هذا أخوه. قال: يا موسى، إنى جعلتُه فقيرًا، والفقير ميّت من العقل، وعند الناس ميّت، وعند الحلال والحرام ميّت، والفقر الموت الأكبر.

وقيل: إنّه إذا أيْسر الفقير ابتُلىَ به ثلاثة: صديقُه القديم يجفوه، وامرأتُه يتزوّج عليها، ودارُه يهدمها ويبنيها.

وكان فى الجاهلية رجل حَسَنُ الحال، وكان بنو عمّه وأخوالُه يختلفون إليه فيُعطيهم ويُعونُهم ويقوم بأمورهم. ثم اختلّ أمرُه، فأتاهم فَحَرموه، فأتى أهلَه كئيبًا، فقالت له امرأته: ما حالك؟ فقال: دَعينى عنك، وأنشأ يقول؛

دعِى عنك عَذْلى ما من العَذْل أعجبُ ... ولابُدّ حالٌ بعد حالٍ تقلّبُ
وكان بنو عمّى يقولون مرحبًا ... فلمّا رأونى مُقترًا ماتَ مرْحبُ
كأنّ مُقِلًا حين يغدو لحاجةٍ ... إلى كلّ مَنْ يلقى من الناس مُذنِبُ

[الطويل]

* * *

وقال بعضهم: رُبّ مغبوطٍ بَيْسرة هى داؤه، ومرحوم من عُدْم هو شفاؤه، والدنيا دُوَل، فما كان لك منها أتاك على ضعفك، وما كان عليك لم تدفعه بقوّتك، ومن عتَبَ على الدّهر طالت معتبتُه.

* * *

وقال الأضبط[3]

ارْض من الدهرِ ما أتاكَ به ... مَنْ قَرَّ عينًا بعيشه نَفَعَهْ

[المنسرح]

قال: وسمع سفيان الثورىّ قومًا يقول بعضهم لبعض: كيف حالُك؟ فقال: لقد بلغنى أنّ مَنْ كان قبلكم كان يكره أن يسأل أخاه عن حاله، إلّا من يكون مجمعًا على تغيير سوء حاله إذا أخبره.

قال: وقال أوس بن حارثة: خير الغِنَى القُنوع، وشرّ الفقر الخضُوع.

(١) ك: «وإنى».
(٢) ك: «قرباه».
(٣) هو الأضبط السعدى، والبيت فى اللآلى ٣٢٦.

قيل: وَمرَّ رجل من الأغنياء برجل من أهل العلم، فتحرّك لَهُ وأكرمه، فقيل له: هل كانت لك إليه حاجة؟ قال: لا؛ ولكنّ ذو المال مَهيب. وقال فيه الشاعر:

أرَى كلَّ ذى مالٍ يُجَلُّ لمالِه ... ومَنْ ليسَ ذا مالٍ يُهَانُ ويُحْقَرُ
ويخذُلُهُ الإخوانُ إن قَلَّ مالُهُ ... وليسَ بمحبوب، بَلَى هُوَ يُهْجرُ
وأقنعُ بالمالِ القليلِ تكرُّما ... لأغْنَى بِه عَمَّا لَدَيْكَ وأصبِرُ
[الطويل]

وذكروا أن زياد بن أبى سفيان أرِقَ ذات ليلة وهو بالبَصْرة، فبعث إلى غَيْلان بن خَرشَة الضبىّ، وسويدِ بن مَنْجوف السَّدوسىّ، والأحنف بن قيس السّعدىّ، فلما توافَوْا إليه قال: أتدرون فيم بعثتُ إليكم؟ إنّه كان عندى ثلاثة من دَهاقين كِسرى، يحدّثون بما كانت الأكاسرة فيه من مُلْكِها، وعظيم شأنها، فتقاصَرَ إلىَّ ما نحن فيه، فبعثتُ إليكم لتصِفوا لى ما كانت العرب فيه من البؤس وشدّة الحال لنقنع بما نحن فيه، فإنّ الغنى القناعة.

قال غَلالان: إن اقتصرت علىّ دون أصحابى حدّثتُك. قال: هاتِ. قال: أخْبَرنى عمٌّ لى صَدوق أنّه خرج فى سنة أصابت العربَ فيها شِدّةٌ حتى أكلوا القِدَّ من القَحْط، واحمرّ أديم الأرض الأرض وآفاق السماء، قال: فطفقت ثلاثًا ما أُطعَم فيهنّ شيئًا إلّا ما يأكل بَعيرى من حشرات الأرض، حتى أصابنى المَيْد[1]، فشددتُ على بطنى حَجَرًا من الجوع، فإنّى لكذلك فى جوف الليل إذا دفعتُ إلى حىّ عظيم فسلمت، فقالوا: مَنْ هذا؟ قلتُ: طارق ليل يلتمس القِرَى، فقالوا: والله ما أبقت لنا هذه السَّنَةُ قِرىً ولا فضلًا، فقالت امرأة كانت إلى جانب القبّة: يا عبدَ الله، دونك القبّة العظيمة، فإن كان عند أحد خيرٌ فعندها. فأمَمْتُهَا، فلمّا دَفَعْتُ إليها سلّمتُ، فقيل لى: مَنْ هذا؟ فقلْت: طارقُ ليل يلتمس قِرىً، فقال رجل منهم: يا فلان، هل عندك قِرىً؟ قال: نعم؛ قد أبقيتُ فى ضَرْع الفُلانة[2] رِسْلًا[3] لطارق ليل، ثم سار إليها فناداها، فانبعثت وتفاجّت[4] عن مِثل الظبْىِ القنيص، فضرب زَبُونَتَها[5]، ثم حلب فى عُلبة[6] معه؛ حتى علتْها رغْوة اللبن، وكلّ ذلك بمرأى منّى ومَسمَع؛ فلقد سمعْتُ الغناء الحُدَاء، فما سمعتُ شيئًا كان أحبّ إلى مسامعى من صوت شَخْبها فى تلك العُلبة. ثم أقبل بها يريدنى، فلما أهويت لآخذها عَثَر فانكفأت العُلبة وذهب ما فيها؛ فوالله لقد فقدتُ الأهل والمالَ فما أصبْتُ بشرّ كان أفزَعَ لقلبى، ولا أعظَمَ موقعًا عندى من انكفاءِ تلك العُلبة على مثل الحال التى كنتُ فيها! فلمّا رآنى صاحبُ القبّة ورأى ما بى من شدّة الجهد، خرج حتى دخل فى إبلة؛ وهو يقول: صدق أخو بنى قيس فى قوله:

---

(١) الميد هنا: الغثيان والدوار.
(٢) الفلانة، بأل التعريفية، كناية عن اسم ما لا يعقل، ويريد به ها هنا الناقة.
(٣) الرسل: ما كان من بقية لبن.
(٤) تفاجت: أفرجت رجليها.
(٥) الزبونة: العنق.
(٦) العلبة: قدح ضخم من جلود الإبل يحلب فيه.

هُمْ يَطردُون الفقرَ عن جارِهم  حتى يُرى كالغُصنِ الناضِرِ
[السريع]

فأخذ ناقة كَوْماءَ فكشف عن عُرْقوبيْها ثم قال: دونك السّنام، فلما وافَى الودَكُ بطنى وحفوف الماء - ولا عهد لى قبل ذلك بشىء منه - خَرَرْتُ مَغْشيًّا علىّ، فو الله ما أيقظنى إلّا بَرْد السَّحر.

فقال زياد: قَطْنى، قد اكتفيتُ بهذا، هذا والله غاية الجهد، فالحمد لله الذى مَنّ علينا بمحمَّد صلّى الله عليه وسلّم، وهدانا إلى الإسلام، وجعلَنا ملوكًا ثم قال: لا أبَ لشانئك. فمن الرجل؟ فقال: عامر بن الطُّفيل، فقال: أبو علىّ! والله كان لها ولأمثالها[١].

* * *

قال: وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: لقد رأيتُنى فى الجاهلية وأُخيّة لى؛ لنرعَى ناضحًا[٢] لأبَوَيْنا، قد زوّدتْنا أمُنا يَنَتًيها من الْهبيد[٣]، فإذا أسْخنتْ علينا الشمس ألقيت الشملة على أختى، وخرجتُ عُرْيانَ أسعَى، فنطلّ نرعى ذلك النّاضح، فنرجع إلى أمّنا من الليل. وقد صنعتْ لنَا لَفِيتةً[٤] من ذلك الهبيد فنتعشّى، فواخِصْباه!.

قال بعض جلسائه: فوالله لقد حسدتُه على ذلك.

* * *

قال: وسئل عمر بنُ الخطاب رضى الله عنه عن جَهد البلاء، فقال: قلّة المال، وكثرة العيال.

وكان الفُضيل يقول: المال يسوِّد غير السّيد، ويقَوِّى غيرَ الأيِّد.

وفى كتاب «كليلة ودمنة»: الرجل إذا افتقر اتّهمه منْ كان له مؤتمنًا، وأساء به الظنَّ من كان يظنّ به حَسَنًا، وإن أذنب غيرُه ظنوه به، وإن كان لسوء الظنّ والتّهمة موضعًا حملوا على ذلك الذى يفعله غيرُه.

وأنشد فى ذلك:

إذا قلَّ مالُ المرءِ قلّ صديقُهُ  وأومَتْ إليه بالعيوب الأصابعُ
[الطويل]

ولآخر[٥]:

إذا قلَّ مالُ المرء قَلَّ حياؤُهُ  وضاقت عليه أرضُهُ وسماؤُه
وحارَ ولا يدرى وإن كان حازمًا  أقُدّامُهُ خيرٌ له أم وراؤُهُ!

---

(١) الخبر مع اختلاف فى الرواية فى عيون الأخبار ٣: ٢٤٤.

(٢) الناضح: البعير يستقى عليه؛ ثم استعمل فى كل بعير وإن لم يحمل الماء.

(٣) الهبيد: حب الحنظل.

(٤) لفيتة: العصيدة المغلظة، لأنها تلفت؛ أى تلوى.

(٥) لصالح بن عبد القدوس، وانظر أدب الدنيا والدين ٢٢٥.

إذ قلَّ مالُ المرءِ قلَّ حياؤُهُ ولا خيرَ فى وجْهٍ يقلُّ حياؤُهُ
[الطويل]

وقيل لأعرابى:

ما أشدّ الأشياء؟ قال: كبدٌ جائعة، تؤدّى إلى أمعاء ضيّقة.

وقيل لأعرابىّ: لِمَ يقول أهل الحضر: باعك الله فى الأعراب؟ قال: لأنّا والله نُعرِى جلدَه، ونُجيعُ كَبِدَه، ونطيل كدَّه.

ومِمّا قيل فيه من الشعر:

أعظمُ من فاقةِ وجوعٍ مُقامُ حرٍّ على خضوعِ
فلا تُرِدْهُ ولا تُرِدْ ما أنيلَ بالذّل والخشوع
واطلبْ معاشًا بقدْر قوتٍ وأنت فى منزلٍ رفيعِ
لعلَّ دهرًا غدَا بنَحْسٍ يعودُ بالسعدِ فى الرجوعِ!
[مخلع البسيط]

آخر:

الموْتُ خيرٌ للفتى من أن يعيشَ بغيرِ مالِ
والموتُ خيرٌ للكر يم من الضَّراعَةِ للرجالِ
[مجزوء الكامل]

آخر:

بخلتُ وليسَ مِنّى سجيّةً ولكنْ رأيتُ الفَقر شرَّ سبيلِ
لَموتُ الفتى خيرٌ من البخل للفتى وللْبخلُ خيرٌ من سؤال بخيلِ
لَعَمرُك ما شىءٌ لوجهكَ قيمةٌ فلا تَلْقَ مخلوقًا بوجهِ ذليلِ
ولا تسألَنْ مَنْ كان يسألُ مرّةً فللموْتُ خيرٌ من سؤالِ سئولِ
[الطويل]

آخر:

لا تحسبَنَّ الموتَ موت البِلَى فإنما الموتُ سؤالُ الرجالْ
كلاهما موتٌ ولكنّ ذا أشدُّ من هذا لذلّ السؤال[1]
[السريع]

آخر فى معناه:

مَنْ كانَ فى الدّنيا أخا ثروةٍ فَنَحنُ من نظّارة الدنيا

(١) ك: «ذاك على كل حال».

نَـرمُـقُهـا مـن كتَبٍ هكـذا كـأنَّـنـا لـفظٌ بـلا مَـعنى
[السريع]

ولآخر:

قـد أراح الله مـن غَمّ شـديدٍ وعـذابْ
واستَرَحْنا من عيالٍ وعـبـيـدٍ ودَوابّ
وضِيـاعٍ ونـخـيـلٍ وحَـصـادٍ وكِـرابْ[1]
واسْتَرحْنا من وقوفٍ لبنى الـدُّنْيَـا ببـابْ
وقَـنِعـنـا وأقَـمْـنـا وحَـططْنا عَنْ رِكابْ
حبّذا الوَحْـدَةُ إن كا نَ بصيـرًا بـالحسـابِ
[مجزوء الرمل]

آخر:

الحـمـدُ لله لـيسَ لى مـالُ ولا لخـلقٍ عـلىَّ إفـضـالُ
الخـانُ بيتى، ومِشْجَبى بـدنى وخـادمـى والـوكـيـلُ بـقّـالُ
[المنسرح]

لآخر:

بقيتُ ومَـرْكَبـى البـرذَوْنُ حـتّى أخفَّ الكيس إغْـلاَء الشعـير
وصـرتُ إلى البغـال فـأعجـزَتْنى وصـرتُ من البغال إلى الحمير
فعـزَّتْنى الحميرُ فصـرتُ أمشى أزجّى الرِّجـلَ تَـزْجيـةَ الكسِـير
[الوافر]

ولآخر:

أتـرانى أرَى من الدهـرِ يومًـا لِىَ يومًا مطيّةً غـيرُ رجلى[2]!
وإذا كنتُ فى جميـعٍ فقـالـوا قَـرّبـوا للرحيـل قَـرّبتُ نَعْـلى
حيثـمـا كنتُ لا أخـلّفَ رَحْـلاً مَنْ رآنى فقـد رآنى ورَحْـلى

أبو هِفّان:

يـا مولِـجَ الليـل فى النَّهـار صبرًا عـلى الـذّل والصَّغـارِ
كم من حِمـارٍ لـه حِمـارٌ ومـنْ جـوادٍ بـلا حمـارِ
[مخلع البسيط]

---

(١) الكراب: تقليب الأرض للزرع.

(٢) العقد ٣: ٤٦، ٦: ٢١٥ ونسبها إلى الشمقمق.

الحمَدونى:

تَسامَى الرِجالُ على خيْلهمْ ورِجْلىَ من بينهم حافيهْ
فإن كنتَ حاملَنا ربَّنا وإلّا فأرْجِلْ بنى الزّانيَهْ

* * *

قال: وكان أعرابىٌ بالبصرة فى بيت، فكان إذا خرج استوثق من غَلق بابه، فيظّن جيرانُه أن له مالًا. فقال:

ليسَ إغلاقى لبابى أنّ لى فيه ما أخْشَى عليه السَّرَقا
إنما أُغْلِقُهُ كىْ لا يرَى سوءَ حالى منْ يَمُرُّ الطُّرُقَا
ليسَ لى فيه سوى باريةٍ وبَلى أخلقْتُ لبْدًا خلَقَا[1]
منزلٌ داخلُهُ الفقرُ فلو دخل السارقُ فيه سُرِقا
[الرمل]

ولآخر:

يبيتُ يُراعِى النجمَ مِنْ جوع بطنه ويُصبحُ يُلْقَى ضاحكًا متبسِّما
[الطويل]

ولآخر:

وعاقبةُ الصبر الجميل جميلةٌ وأحسنُ أخلاق الرجالِ التفَضُّلُ
ولا عارَ أنْ زالت عن المرءِ نعمةٌ ولكنَّ عارًا أن يزولَ التجمُّلُ[2]

ولآخر:

وكم من فقيرٍ بعد جَهْدٍ وحاجةٍ هو اليومَ محسودٌ وقد كان يُرْحَمْ!

ولآخر:

قد يكثرُ المالُ يومًا بعدَ قلّتهِ ويكتسى الغُصْنُ بعد اليُبْس بالوَرَق
[البسيط]

آخر:

كم من غنىً رأيتُ الفقرَ أدركهُ ومن فقيرٍ غَنِىٍّ بعدَ إقلالِ
[البسيط]

آخر:

وكَمْ من غنىٍّ كانَ بالمالِ مُثْرِيًا هوَ اليومَ مرحومٌ وقد كان يُحسَدُ
[الطويل]

---

(١) البارية: الحصيرة.

(٢) ل: «التحمل».

آخر:

وكم من فتىً كـانَ ذا ثـرْوَةٍ ... رَمتْـهُ الحـوادثُ حتى افـتقـرْ

[المتقارب]

آخر:

إذا كان جَدُّ المرءِ فى الشىء مقبلاً ... تـأتّتْ لهُ الأشيـاءُ منْ كـلّ جـانبِ
وإن أدْبَـرتْ دُنيـاهُ عنـهُ تـوَعّـرَتْ ... عـليـه، وأعيَتْـهُ وُجـوهُ المـطالـبِ
وإن قـلَّ مـالُ المـرءِ أقْصـاهُ أهلهُ ... وأعْـرَضَ عنه كـلُّ إلفٍ وصاحب
وكـذّبَـهُ الأقـوام فى كـلّ منـطقٍ ... وإن كـانَ فيه صـادِقًا غـيرَ كـاذِبِ

[الطويل]

آخر:

متى ما يرى الناسُ الفقيرَ وجـارَهُ ... يقـولـونَ: هـذا عـاجـزٌ وجليـدُ
وليسَ الغِنى والفقرُ من حيلَة الفتى ... ولـكنْ أحـاظٍ قُـسّـمـتْ وجـدُودُ

[الطويل]

وقال عبدُ الأعلى القاضى: الفقير مَرَقتُهُ سِلْقة ورداؤه عِلْقة، وسَمَكَتُه سِلْقة[1].

ولآخر:

مَنْ كـانَ ذَا مـالٍ كثـير فَلْمْ ... يقنـعْ فـذاكَ المـوسِـرُ المُقْـتِرُ
الفقـرُ فى النَّفْس وفيهـا الغِنى ... وفى غِنى النفس الغِـنَى الأكـبر

[السريع]

* * *

وكتب بعضهم يستميحُ بعضَ الأغنياء:

هـذا كتابُ فتىً أزْرَى الـزّمَـانُ بـهِ ... قـد كاد تَنفـطِرُ الأضلاعُ من هِمَمِـهْ
شـطّتْ مَنَـازلُـه عنـهُ وضَعضـعَـهُ ... رَيْبُ الزمانِ فأيْدَى الضُعفَ فى كَلِمِهْ

[البسيط]

يُذْرى الدموعَ بعَينٍ غـير جامـدَةٍ ... طَـوْرًا بدَمـعٍ، وَيبكى تارةً بـدمِـه
أضحَى ببـابِكَ مَحـزونًـا لَـهُ أمـلٌ ... يرجو بجُودِكَ أن يُفتَكَّ من عدَمِه
يا ذا المقدَّمُ فى الأفعال مِن كرمٍ ... أنت المداوى صريعَ الدَّهر من سَقَمِهْ

[البسيط]

ولآخر:

خُـلُقٌ واسـعٌ، ومـالٌ قـلـيـلُ ... واعتـداءٌ من الـزمـانِ طـويـل

---

(١) السلقة: نبْت يؤكل، والعلقة: قميص بلا كمين، والشلقة: ضرب من السمك.

ما اختيالُ الفتى بدولةِ دهرٍ ... وعليه بالنائباتِ تدولُ!
كلّما رام نهضةً أقعدتْه ... غائلات من الزمانِ تغولُ[١]
[الطويل]

* * *

فيمن أثرَى بعد الفقر، أنشد لرجل من المحدَثين:

لئن كنتَ قد أُعطِيْتَ خَزًّا تجرُّهُ ... تبدَّلتَه من فَرْوةٍ وإهابِ
فلا تَعجَبنْ أن تملك النّاسَ إننى[٢] ... أرى أمّة قد أدبرتْ لذهابِ
[الطويل]

ولآخر:

تاه على إخوانه بالغنى ... فصار لا يطْرِفُ من كِبْره
أعادَه الله إلى حالهِ ... فإنّه يَحسُنُ فى فَقْره[٣]
[السريع]

لدِعبل الخُزَاعىّ:

عَطاياه تَغْدُو على سابحٍ ... وطورًا عَلَى بَغْلةٍ نَدْبَهْ[٤]
فلو خُصَّ بالرزقِ بُخْلُ الكرا ... مِ ما نال خيْطًا ولا هُدْبَه
ولكنّهُ الرزق ممن يعيـ ... ـش فى رزقه الكلبُ والكلبَه
[المتقارب]

ولآخر:

كنتَ إذْ كنتَ عَديما ... لىَ خِلًّا ونَديما
ثم أثريتَ فأعرضْـ ... ـت ولم تَرْعَ قديما
صارَ ما نِلتَ من المـا ... لِ لنا ذَنْبًا عظيما
هكذا يفعل بالإخوا ... ن مَن كان لئيما[٥]
[مجزوء الرمل]

ولآخر:

صحبتُ إذْ أنت لا تصحَبُ ... وإذْ أنت لا غيرُك المُوكِبُ[٦]

---

(١) ط: «عالته... تعول».
(٢) ك «أن تملك الدهر».
(٣) ك: «قفره».
(٤) الفرس السابح: السريع، والبغلة الندبة: الماضية النشيط.
(٥) ط: «كريمًا».
(٦) الموكب: من يلزم الموكب.

وإذْ أنت تفرحُ بالزائرين ... ونفسُك نفسَك تستَحجِبُ
وإذْ أنت تكثرُ ذمَّ الزمان ... ومشيُك أضعافُ ما تركَبُ
فقلتُ كريم له همّةٌ ... يَنالُ فأدركُ ما أطلُبُ
فنلْتَ وأقصيتَني جانبًا ... كأنيَ ذُو عُرّةٍ أجْربُ[1]

[المتقارب]

(١) العرة: قرحة الجرب.

# محاسِن الثقة بالله عزّ وجلّ

قيل: خطَب سُلَيْمانُ بنُ عبدالملك: الحمد لله الذى أنقذنى من ناره بخلافته.

وقال الوليد بنُ عبدالملك: لأشفعنّ للحجّاج بن يوسف، وقرّة بن شريك [عندربّى][1]

وقال الحجّاجُ: يقولون: مات الحجّاج! فمه[2]! ما أرجو الخير كلّه إلّا بعد الموت، والله ما رَضِىَ الله البقَاء إلّا لأهوِنِ خلقِه عليه إبليس؛ إذ قال: ﴿رَبِّ فأَنْظِرْنى إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إلى يَوْمِ الوقْتِ المعلُومِ﴾[3].

وقال أبو جعفر المنصور: الحمد لله الذى أجارنى بخلافته، وأنقذنى[4] من النار بها.

* * *

وحدَّثنا إبراهيم بن عبد الله، رُفع الحديث إلى أنس بن مالك قال: دخلْنا على فتىً من الأنصار؛ وهو ثقيلٌ فى مرضِه، فلم نخرج من عنده حتى قُضِى[5] عليه، وإذا عجوزٌ عند رأسه، فالتفت إليها بعضُ القوم وقال: استسلِمى لأمر الله عزّ وجلّ واحتسبِى. قالت: أمات ابنى؟ قال: نعم؛ قالت أحقٌّ ما تقولون! قُلْنا: نعم؛ فمدّت يدها إلى السماء ثم قالت: اللّهمّ إنّك تعلم أنّى أسلمتُ لك، وهاجرتُ إلى نبيّك محمد ﷺ، رجاءَ أن تُعينَنى عندَ كلّ شدّة، اللهمّ فلا تحمِّلنى هذه المصيبة اليوم.

فكشفَ ابنُها الثوبَ الّذى سجّيناه به عن وجهه؛ وما بَرِحْنا حتى طَعِم وطَعِمْنا معه[6].

* * *

قيل: وبينا عمرُ بنُ الخطاب رضى الله عنه يُعرِض الناس، إذ هو برجل معه صبىّ له، فقال له عمر رضى الله عنه: ويحَك! ما رأيتُ غرابًا أشبهَ بغراب من هذا بك؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين، والله ما ولدتْه أمّه إلّا وهى ميّتةٌ، فاستوى عمرُ رحمه الله جالسًا وقال: ويحَك! حدّثنى، قال: خرجتُ فى غزاةٍ وأمُّه حامل به فقالت: تخرج وتَدَعنى على هذه الحالة حاملاً مُثقلاً! فقلت: أستودع الله ما فى بطنكِ!.

فغبتُ ثم قدمتُ وإذا بابى مغلَق، فقلتُ: ما هذا؟ وما فعلتْ فلانة؟ قالوا: ماتت. فذهبتُ إلى

---

(١) تكملة من المحاسن والأضداد ١٦٦.

(٢) المحاسن والأضداد: «مه».

(٣) سورة الحجر ٣٦ - ٣٨.

(٤) ل: «أبعدنى».

(٥) المحاسن والأضداد: «حتى قضى نحبه».

(٦) الخبر فى المحاسن والأضداد ١٦٦، ١٦٧.

قبرها وكنتُ عنده، فلما كان من الليل قعدتُ مع بنى عمّى أتحدّث؛ وليس يسترنا مع البقيع[١] شيء، فرفعت لي نارٌ بين القبور، فقلتُ لبنى عمّى: ما هذه النار؟ قال أحدهم: يا أبا فلان، نرى على قبر فلانة كلَّ ليلة نارًا. فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون! والله لقد كانت صوّامة قوّامة عفِيفة، والله لأنبشنّ قبرَها، ولأنظرنّ ما حالُهَا؟ فأخذتُ فأسًا وأتيتُ القبرَ فإذا هو مفتوح والمرأة ميّتة، وهذا حَيَّةٌ يَدِبّ حولَها، فنادى منادٍ: أيّها المستودِع ربّه وديعته، خذ وديعتَك، أما إنّك لو استودعتَه أمَّهُ لوجدتَها. فأخذته، وعاد القبر كما كان، وهو والله يا أمير المؤمنين هذا!.

---

(١) البقيع، ويضاف أحيانًا إلى الغرقد: مقبرة أهل المدينة.

# مسَاوئ الثقَة

قال: عيسى بن مريم عليه السلام: يا معشر الحواريِّين، إنّ ابن آدم خُلِق فى الدنيا من أربعة منازل، هو فى ثلاثة منها واثقٌ بالله عزّ وجلّ، وهو فى الرابع سيِّئُ الظنّ، يخاف خِذلانَ الله عزّ وجلّ إيّاه، فأمَّا المنْزلة الأولى فإنه خُلِق فى بطن أمه خَلْقًا من بعد خلْق فى ظلمات ثلاث: ظلمة البَطْن[1]، وظُلْمةِ الرّحِم، وظلمةِ المَشِيمة[2]، يُنزل الله جلّ وعزّ عليه رِزقَه فى جوف ظلمة البَطْن، فإذا خرج من ظلمة البطن وقع فى اللبن، لا يخطو إليه بقدم ولا ساق ولا يتناولُه بيدٍ، ولا ينهض بقوّة، ويُكرَه عليه إكراهًا، ويُوجَره إيجارًا؛ حتى ينبت عليه عظمُه ودمهُ ولحمهُ، فإذا ارتفع من اللّبن وقع فى المنزلة الثالثة فى الطعام، بين أبوين يكتسبان عليه من حلال وحرام، فإن مات أبواه من غير شىء عَطَفَ عليه النّاس؛ هذا يُطعِمه، وهذا يسقيه، وهذا يُؤويه[3]، فإذا وقع فى المنزلة الرابعة واشتدَّ واستوى وكان رجلًا خَشِى؛ ألّا يرزَق، فيثب[4] على النَّاس، فيخون[5] أماناتِهم، ويسرق أمتِعتَهم، ويكابرهم[6] على أموالهم مخافة خذلان الله عزّ وجلّ إيّاه[7]!

---

(١) كذا فى ك والمحاسن والأضداد، وفى ل: «البصر».

(٢) المشيمة: غشاء ولد الإنسان، يخرج معه عند الولادة.

(٣) فى الأصول: «يرويه».

(٤) ط: «يثيب»، وما أثبته من المحاسن والأضداد.

(٥) ل: «يخون».

(٦) ك: «ويكاثرهم».

(٧) المحاسن والأضداد ١٦٧.

# محاسن طلب الرّزق

بلغنا عن ابن السمّاك أنّه قال: لا تشتغلْ بالرّزق المضمون، عن العمل المفروض؛ وكن اليومَ مشغولاً بما أنت عنه غدًا مسئول. وإيّاك والفضولَ؛ فإنّ حسابها طويل[1].

وقال عمرو بن عُتْبة: من لم يقدّمه الحَزْم، أخّره العَجْز[2].

وقال الله تبارك وتعالى: يا بنَ آدم، أحدِثْ لى سَفَرًا، أحدِثْ لك رزقا[2].

وفى بعض الحديث: «سافروا تغْنموا».

وقال الكميْت:

ولَنْ يُزيحَ هُمومَ النفسِ إذ حضَرتْ ... حاجاتُ مِثلِكَ إلا الرَّحْلُ والجَمَلُ

[البسيط]

وقال الطّائىّ:

وطولُ مُقامِ المرْءِ فى الحىِّ مُخلِقٌ ... لـدِيباجَتيـه فـاغتـرِبْ تتجـدَّدِ[3]

فإنّى رأيت الشمسَ زِيدَت مَحبَّةً ... إلى الناس إذ ليستْ عليهم بسَرْمدِ

[الطويل]

وقال بعض الحكماء: لا تدَعِ الحيلة فى التماس الرزق بكلّ مكان؛ فإن الكريم محتال، والدنىّ عِيال[4].

وقال:

فسِرْ فى بلادِ الله والتمِسِ الغنى ... تَعِش ذا يَسارٍ أو تموتَ فتُعْذَرَا

ولا ترْضَ من عَيشٍ بدونٍ ولا تَنَمْ ... وكيف يَنامُ الليلَ من كان مُعسِرَا[5]!

[الطويل]

وتقول العرب[6]: كلب جوّال، خيرٌ من أسد رابِض.

وتقول أيضًا: من غَلَى دماغُه صائفًا، غلت قِدْرُه شاتيًا.

ووقّع عبدُ الله بنُ طاهر: «من سعى رَعى، ومن لزم المنام، رأى الأحلام».

---

(١) المحاسن والأضداد ١٧٠: «ويطول».

(٢-٢) المحاسن والأضداد ١٦٨.

(٣) هو أبو تمام ديوانه ٢٣٢.

(٤) المحاسن والأضداد ١٦٨.

(٥) المحاسن والأضداد ١٦٨ بدون نسبة.

(٦) المحاسن والأضداد ١٦٨: «العامة».

وقال[١] الكِسْرَوِىّ: أخذه من توقيع أنوشِروان بالفارسية[١] «هرك روذخُرْذهرك خُسيذ خاف وينذ[٢]»، وأنشد:

كفى حزنًا أنّ النوى قذَفَتْ بنا ... بعيدًا، وأنَّ الرزقَ أعيَتْ مذاهِبُهْ
ولو أننا إذْ فرَّقَ الدَّهرِ بيننا ... غَنِى واحدٌ منا تَمَوَّل صاحبُهْ
ولكننا مِن دهرِنا فى مَئُونَةٍ ... يُكَالِبُنا طورًا، وطورًا نكالِبُهْ
[الطويل]

* * *

ولآخر:

إذا المرءُ لم يَبْغِ المعاشَ لنفسِه ... شكا الفقرَ؛ أو لامَ الصديقَ فاكثرا
وصارَ على الأدْنَيْنِ كَلًّا وأوشكَتْ ... صِلاتُ ذوى القرْبى له أن تُنَكَّرا[٣]
[الطويل]

ولآخر:

ومَنْ يَكُ مِثلى ذا عيالٍ ومُقتِرًا ... منَ المالِ يطرَحِ نفسَهُ كلَّ مَطرَحِ[٤]
لِيبلغَ عُذرًا ؛ أو ينالَ غَنيمةً ... ومُبلغُ نفسٍ عُذْرَها مثلُ مُنجِحِ
[الطويل]

ولآخر:

وليسَ الرِّزقُ عنْ طلبٍ حَثيثٍ ... ولكنْ ألقِ دَلْوكَ فى الدِّلاءِ[٥]
تجيءُ بملئِها يَومًا ويومًا ... تجيء بجَمْأةٍ وقليلِ ماءِ
[الوافر]

ولآخر:

وقد علمتُ وعلمُ المرءِ يَنفعُهُ ... أنَّ الذى هُو رزقى سَوْف يأتينى[٦]
أسعَى له فيعنّينى تَطَلُّبُهُ ... ولو قعدْتُ أتانى لا يُعنّينى
[البسيط]

---

(١-١) المحاسن والأضداد: «هذا المعنى سرقه من توقيعات أنوشروان بالفارسية فإنه يقول».

(٢) رجعت فى ترجمة هذا النص الفارسى إلى السيد نصر الله الطرازى مفهرس الكتب الفارسية والتركية بالدار؛ فأفادنى بأنه يوافق فى المعنى ما ذكر من توقيع عبد الله بن طاهر.

(٣) ط: «على الأذنين» تصحيف.

(٤) لعروة، ديوانه ٨٨.

(٥) من أبيات تنسب إلى أبى الأسود الدؤلى، ملحق ديوانه ٤٣.

(٦) لعروة بن أذينة، من مقطوعة له فى أمالى المرتضى ١: ٤٠٨، ٤٠٩؛ وروايته البيت الأول هناك:
* لَقَدْ عَلِمْتُ وما الإشرافُ من خُلُقى *

ولآخر:

لَعمرُك ما كلُّ التبطُّل ضائرٌ ... ولا كلُّ شُغْلٍ فيه للمرءِ منفَعَهْ[١]
إذا كانت الأرزاق فى القرْب والنَّوَى ... عَليكَ سواءً، فاغتنم لذَّة الدَّعهْ
وإن ضِقْت فاصبرْ يُفرِج الله ما ترى ... ألَا كلُّ ضِيقٍ فى عواقبِهِ سَعَهْ
[الطويل]

ولآخر:

سَهِّلْ عليك فإنّ الأمرَ مقدُورُ ... وكلٌّ مستأنَفٍ فى اللّوْحِ مَسْطورُ[٢]
يأتى القضاء بما فيه لمدَّتِهِ ... وكلُّ ما لم يَكنْ فيهِ فمحظورُ
لا تكذِبَنَّ وخيرُ القولِ أصدقُهُ ... إنّ الحريصَ على الدنيا لمَغْرورُ
[البسيط]

آخر:

لايُتعِبَنّكَ شيءٌ أنت تطلُبُهُ ... وقد تقدَّمَك المقدُورُ والقَلَمُ
[البسيط]

ولآخر:

لاتعتِبنّ على العبادِ فإنّما ... يأتيكَ رِزقُكَ حين يُؤذَنُ فيهِ
[الكامل]

ولآخر:

هى المقاديرُ تجرى فى أعنّتِها ... فاصبرْ فليسَ لها صبرٌ على حال[٣]
يومًا تريشُ خسِيس القوم ترفعُهُ ... دون السماءِ ، ويوما تخفِضُ العالى[٤]
[البسيط]

ولآخر:

اصْبرْ على زَمَنٍ جَمَّ تلوّنُهُ ... فلَيسَ من شدّةٍ إلّا لها فرَجُ[٥]
تَلْقاهُ بالأمس فى عَمْيَاءَ مُظْلِمَةٍ ... ويُصْبحُ اليومَ قد لاحتْ له السُّرُجُ
[البسيط]

---

(١) المحاسن والأضداد ١٧٠.
(٢) المحاسن والأضداد ١٧٠.
(٣) كذا فى ل، وفى ك والمحاسن والأضداد ١٧١: «دع المقادير».
(٤) ل: «خسيس القدر».
(٥) المحاسن والأضداد ١٧١: «جم نوائبه».

ولآخر:

ألا رُبَّ راجٍ حاجةٍ لا ينالُها ... وآخرَ قدْ تُقضى لهُ وهو آيِسُ[١]
يَجول لها هذا ، وتُقضَى لغيرِهِ ... فتأتى التى تُقضَى لهُ وهو جَالسُ
[الطويل]

ولآخر:

اتطلبُ رِزْقَ الله من عند غيره ... وتُصبحُ من خَوفِ العواقب آمنا!
وترضَى بصَرَّافٍ وإن كان مُشْرِكًا ... ضمنيًا، ولا ترضَى بربِّكَ ضامِنَا!
كأنّك لم تَقْنع بما فى كِتابهِ ... فاصبحتَ مَدْخُولَ اليقين مُباينا
[الطويل]

ولآخر:

إنّى لأكرمُ نفسى أن أدَنِّسَها ... بشَين عِرْضى وبَذْلِ الوجْهِ للنّاسِ
واللّهُ ضامنُ رزقى ما حييتُ وما ... فى ضَمْن ذى العرشِ من شكٍّ ولا بَاسِ
إنّى رأيتُ سؤالَ الله مَكْرُمَةً ... وفى سؤال سِواهُ أعظمُ اليأسِ
[البسيط]

* * *

قيل: ووُجد فى بعض خزائن ملوك العجم لوحٌ من حجارة فيه مكتوب: كُنْ لِمَن ترجو أرجَى منك لما ترجو، فإنّ موسى عليه السلام خرج يقتَبس نارًا فنُودِىَ بالنُّبوّة.

وأنشد:

ولما أنْ عييتُ بما ألاقِى ... وأعيتْنى المسائلُ بالقُروض[٢]
ذكرتُ الله لا أرجو سواهُ ... وربُّ العرش ذُو فرجٍ عريضِ
[الوافر]

ولآخر:

يا صاحبَ الغمّ؛ إن الغمَّ منقطِعٌ ... أبشرْ بخيرٍ كأنْ قد فرّجَ اللهُ
اليأسُ يَقعُ أحيانًا بصاحِبهِ ... لا تيأسَنَّ فإنَّ الصانعَ اللّهُ
إذا ابتُلِيتَ فثِق بالله وارضَ بهِ ... فكاشِفُ الضُّرِّ والبَلْوَى هو اللّهُ
[البسيط]

---

(١) المحاسن والأضداد ١٧١ من غير نسبه.
(٢) ط: «والقروض» وما أثبته من المحاسن والأضداد ١٧١.

ولآخر:

كَمْ رأينا من صحيحٍ قد هَوَى ... وأخِي سُقْمٍ من السّقمِ خرَجْ
لا تكنْ إن رابَ أمرٌ آيسًا ... فلَعِنْدَ اليأسِ يأتيكَ الْفَرَجْ
[الوافر]

ولآخر:

وإذا تُصِبْكَ من الحوادثِ نكبةٌ ... فاصبرْ ، فكلُّ ضَبَابةٍ تتكشّفُ[1]
[الكامل]

(١) المحاسن والأضداد ١٧٢: «فكل بلية».